

والنفس في الفرد ، أخذ يعالج العالم ويبحث التاريخ كجموعه إنسانية فريدة ، وبدلاً من أن يوجه أبحاثه شطر السادة أخذ يسوقها ناحية المسائل النظرية بالرغم من أنه كان يأبى هذا التوجيه في شبابه ، وهو القائل من قبل : « إني لا أرضى عن تركيب النظريات للعامة » فكانه أراد أن ينتحل لنفسه الأعدار حين قال : « لقد طرأ على أساليب في العمل تغيير لا أنكر نتائجه . كنت من قبل لا أعرف كيف أحتفظ في نفسي بنظرية أعتقد أنها جديدة وكنت أفشى بها بالرغم من أنه لم تجتمع لدى الأدلة على صحتها ... لأن الزمان كان منقشاً أمامي ، كان الزمان خضياً واسماً كما يقول شاعر ظريف . وكانت مواد البحث تتدفق عديدة بحيث أجد من السرية اختيار كل ما بين يدي . أما اليوم فقد تشير وضع الأشياء فالزمان محدود الأجل ، وفيه من الفراغ ما لا يسده العمل بمد أن تضاءت ظروف الاختبارات الجديدة . فقد أصبحت لا أجرؤ على الإقضاء بما أكتشفه من جديد مخافة ألا أجد منسماً من العمر للتدليل عليه ... »

سليخ « فرويد » حسين عاماً من حياته لا يقابل فيها غير مرضاه ، ولا يعرف من الإنسانية غير أفرادها المصابين للتاعسين فلا غرو إذا نظر إلى الحياة في مجملها نظرة مليئة بالتشاؤم في الكتائين اللذين وضعهما في طور شيخوخته وهما « مستقبل وم » و « علة المدنية » ، ولا غرو إذا قرر أن « الحياة عبء ثقيل على الإنسانية جماء كما هي على كل فرد »

عرض « فرويد » للإنسانية في عصرنا الحاضر فوجد أنها بلغت من الرق حداً بعيداً بينما لم يستطع هذا الرق أن ينيل الفرد السمادة التي يصبو إليها كل إنسان

وللتدليل على هذا استعرض « فرويد » تاريخ العالم منذ الإنسان الأول أي منذ كان الإنسان يجمل القوانين والأخلاق ويمتلك كالبهيمة حراً طليقاً من كل قيد . وعندما تألفت الجماعات والتبائل حد هذا التآلف من أطماع الفرد وأهوائه ، لأن كل حياة اجتماعية مهما كان شكلها أولياً تمد من حرية الفرد في سبيل إخوائه ، فصار زاماً عليه أن يمتنع عن أشياء كثيرة ، فاستحدث الحرام والحلال ، ونشأت التقاليد والتواضع والحقوق والواجبات واستتبع هذه جميعها المقاب الذي يقع على من يخالفها

## سيجموند فرويد العالم النفساني الكبير للأستاذ صديق شيبوب

- ٥ -

—

حين أرى « فرويد » على السبيل كانت نظرياته في علم النفس قد استحكمت حلقاتها وقامت كالبنيان الرسوص يشد بعضه ببعضاً بمد أن عمل على تشييدها جزءاً بجزءاً ، وكان ( الجزء بلد من الجزء تباركاً ) كما يقول : « ليوناردو نيتشي ، وأخشت منته النظريات تؤثر في كل علم وفن . فهل استراح هذا الشيخ مطمئناً إلى ما قدم من خدمات وما أحرز من نصر ؟ »

لا شك أنه رأى مجال العمل ذاسمة ولكن أزعجه أنه سوف لا يجد فسحة من الأجل لإتمام ما ينتهيه من بناء للمستقبل . ذلك صار يلقى من القدوة التي تسم قمتها نظرة شاملة على الماضي على طريقته التحليلية المهددة ، ولكنه بدلاً من أن يبالغ الأعصاب

هل أنسى أن الصدق جعل لأهدائي حججاً دواعي في مقاومة مؤلفاتي ؟

الصدق في الدنيا غريب ، وأنا في الدنيا غريب ، والله هو المسئول من رعاية للفرياء

أما بعد ، ثم أما بعد ، فسأظل إل الأيد عند ظنك الجليل ، وسأفركك التناول على من حين إلى حين ، لأنني آخراً من يتدفق تجاهل المحبوب لأقدار الحبيب

من نعم الله أن نبش قلباً إلى قلب ، لا جنباً إلى جنب ، فإكان الهوى المنزلي إلا الروح للكنون في قصيدة الوجود

وإلى اللقاء يا شقية في عالم الفكر والوجدان ولكن متى ؟ متى ؟ متى ؟ وأنت تؤمنين بأن البخل أشرف

خلائق الملاح

قالوا عشقت فقلت كم من فتنة لم تنن فيها حكمة الحكاء إن الذي خلق الملاح لم يشأ إلا شقائ في الهوى وبلأني زكي مبارك

بالفرائز ، ولكن هذا الضمف أمر عجيب . إن صوت العقل خافت ولكنه لا يفتأ يتردد حتى يسمع ، وللعقل لا أشك وأصل إلى غايته في النهاية بالرغم من اندحاره أكثر من مرة ، وهي ظاهرة من المسائل النادرة التي تحملنا على التفاوض في مصير الإنسانية . إن تفوق للعقل قائم في منطقتي ثانية ، ولكنها ربما كانت غير بسيطة المنال »

\*\*\*

وكان آخر مؤلفات « فرويد » كتابه عن موسى ونكرة التوحيد عند اليهود ، وهو للكتاب الذي قرر فيه أن موسى لم يكن من العبريين ، وأنه كان مصرياً مستديلاً على ذلك باسمه . إن كلمة « موسى » في رأيه معربة معناها انعطفت أو تمعد بنيل اسم الملك « مومتس » أو « مومت موسى » أي عبد « مومت » فيكون اسم موسى اختزالاً كما نقول بالعربية « عبده » لعبد الله . وقد أطلقت ابنة فرعون عليه هذا الاسم المصري الذي لم يكن معروفاً عند العبرانيين

كان موسى من رجال خاشية الملك أخناتون الذي كان أول من قال بالتوحيد عند قدماء المصريين ، وجرى بعد وفاة هذا الملك أن نار الكهنة واستردوا سلطانهم ففرقوا أشياعه ، ومنهم موسى الذي هرب من مصر وأخذ معه الإسرائيليين لأنهم كانوا مستعبدين مضطهدين

وقد عرض في كتابه لأدلة عديدة مثل معربة أسماء اللاويين الذين يقول إنهم كانوا أشياع موسى ، واقتباس العبريين عن المصريين الختان وبابوت المهدي وهندسة بيت المقدس إلى غير ذلك مما يطول بنا بيان .

\*\*\*

هذه آثار « فرويد » في العلم والفكر . ولا شك أن اسمه سيظل عالماً بنظرية العقل للباطن التي اكتشفها والتي جعلته زعيم مذهب تشيع له علماء كثيرون نذكر في طلبهم « بونج » و « ادلر » الذين بنوا أبحاثهما على نظرياته ووصلا إلى نتائج تختلف عن نتائجه خصوصاً في تفوق الفرزة الجنسية والبيد ، وقد أراها بهذه الكلمة الأخيرة معنى آخر غير الذي قرره لها « فرويد »

ولم تلبث معرفة الحرام وخوف العقاب ، وكانتا ظاهرتين ماديتين ، أن نفذتا إلى رأس الفرد وقلبه فاستحدثنا فيما ما هو أبعد من اللات المادية ، أي أنهما أوجدتا فيه الضمير ، ونشأت في الوقت نفسه الثقافة العقلية والفكرية والدينية ، وأوجدت فكرة الإله القدير العليم بقفلة للضمير وكبت الشهوات فتحوطت القوى المادية التي كانت تحرك الإنسان الأول إلى قوى عقلية وأخلاقية خالقة وأخذت تسيطر على العالم حتى أخضعت عناصره واستخدمتها في سبيل غاياتها

ثم قرر « فرويد » أن الاختراعات والاكتشافات التي قربت الإنسان من درجة الألوهية من حيث الخلق لم توفر للإنسانية أسباب السعادة ولم تدخل النبطة والسرور عليها . وسبب ذلك أن الثروة الثقافية التي انتهى إليها الإنسان لم ينلها مجاناً لأن تمنها الحد من حرية الفرائز . وكل ربح للإنسانية خصارة تلحق بالفرد في أسباب سعادته

تماودنا في أحلامنا ورغباتنا للفرائز التي أجبرتنا المدنية والأخلاق على كبتها ، ولا تزال اللات الأخلاقية تصبو إلى الفوضى والحرية والحيوانية التي كان الإنسان الأول يتمتع بها . فكأننا نفقد من حيوتنا كلما تقدمت للدينة . ويحق لنا إذن أن نتساءل : هل المدنية لم تسط على نفس الفرد ، وهل ( ذات ) المجتمع لم تصب ( ذات ) للفرد بنين فاحش ؟

فما هو الدواء الذي يصفه « فرويد » لمعالجة اللمة التي وصفها ؟ إن علم تحليل النفس يقرر نظرياً تفوق العقل للباطن والفرائز على العقل الواعي ، ويقرر عملياً أن تغلب العقل الواعي هو الوسيلة الوحيدة لشقاء الإنسان

ترى هل يصف « فرويد » للمجتمع ما قرره من قبل للفرد بعد أن لاحظ ما في قوله من الاختلاف بين النظريات وبين العمليات ، وهو الذي قرر بشكل حاسم أن الفرائز الممجيبة هي التي تسيطر على العقل

كان فرويد قد شهد الحرب الأخيرة ، ولاحظ تغلب الفرائز على العقل ، فلم يقرر علاجه تقريراً باتاً ولكنه رجا أن تصل إليه اليد الإنسانية بمدد من الزمان متطللاً بالأمان فقال : « نستطيع أن نستمر على القول في حق بأن العقل الإنساني ضعيف إذا تيسر